"SOCIAL TREND / TENDENCY IN SAUDI ARABIC NOVELS in 20th CENTURY A.D."

النزعة الاجتماعية في الرواية العربية السعودية

(في القرن العشرين)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، نبينا المصطفى محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد حظيت الرواية في الآونة الأخيرة باهتمام كبير من النقاد والدارسين والباحثين لدى المجتمعات المثقفة في كافة أنحاء العالم. ولعل مردها إلى أن الرواية، بعد أن كانت لقرون عديدة وسيلةً للتسلية والترفيه وقضاء الوقت للمجموعة المرفهة من الناس، تحولت في أواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين إلى أداة فنية للوعي بمصير الإنسان ونفسياته وسلوكياته، والواقع اليومي الذي يعيشه المجتمع، والقضايا والتحولات التي تحدث في حياة الفرد والجماعة. وتتزايد أهمية الرواية سنة بعد أخرى حيث أصبحت مرآة للمجتمع وواقعه المعاش.

وليست الرواية العربية أقل حظا من الأعمال الروائية في باقي أقطار العالم، في رصد التحولات الاجتماعية والتغيرات الثقافية والتطورات البيئية والمعيشية وانعكاساتها في حياة الأفراد والمجتمع وأنماط التفكير والسلوكيات، والتعبير عن المجتمع وقيمه وتقاليده، ومعالجة القضايا التي تهم الإنسان، وطرح الحلول للمشكلات المتعلقة بوجوده وصراعاته النفسية والاجتماعية حسب رؤية الكاتب.

وفيما يخص بالتجربة الروائية السعودية، فقد دخلت إلى الأدب السعودي من الجانب الاجتماعي والإصلاحي كأداة فنية لمكافحة الدعاية القلمية الأروبية لتوسيع وانتشار المدنية الغربية إلى العالم العربي الإسلامي والقضاء على كيانه الأخلاقي والتربوي، إذ أحس الأستاذ عبد القدوس الأنصاري بضرورة تنظيم حملة دفاعية تقاوم تيار الفساد الغربي بالطريقة نفسها، وذلك بالتحرير على الأسلوب الروائي، ورأى في فن الرواية تعبيرا فنيا شاملا عن آرائه في الحياة والمجتمع وتنشئة طباع

المتعلمين، فقدّم رواية "التوأمان" في عام 1930م ليحذّر الأمة العربية من أضرار معاهد التعليم الأجنبية وأفكارها المنحرفة، وهكذا كان ميلاد الرواية السعودية تلبيةً لحاجات اجتماعية وثقافية عصرية. وحذا حذوه الروائيون السعوديون في الفترات المتلاحقة التي يرصدها هذا البحث، وهي نهاية عام 2000م، وما زالت الرواية في كافة مراحل نشوئها وتطورها وازدهارها مرتبطة بالمجتمع وتناولت العديد من همومه وقضاياه وصراعاته الفكرية والنفسية والثقافية والعاطفية، وأسهمت في تغيير الواقع المعاش.

وقد مرّت التجربة الروائية السعودية خلال هذه الفترة بثلاث مراحل: البداية والتأسيس، والنضج الفني، والتجديد والتحديث. وتميزت المرحلة الأولى بطولها الزمني وقلّة الإنتاج الروائي، واتصفت الأعمال الروائية الصادرة فيها بضعف المستوى الفني من حيث الحبكة والبنية والوصف لعنصري الزمان والمكان، وعدم الاهتمام برسم الشخوص الروائية وتحليلها وكثرة الاعتماد على عوامل الصدفة في تطوير الأحداث، واستخدام الأسلوب التقريري المباشر، والمبالغة في العناية بالمفردات، والتركيز على المضمون، كما غلبت على معظم الأعمال النزعة التعليمية الإصلاحية الأخلاقية الاجتماعية.

وتحقق في عدد من روايات المرحلة الثانية النضج والتطور الفني عن ذي قبل، وتميزت بارتباطها بالواقع المعاش، وتصويرها للبيئة الزمانية والمكانية، ورصد التحول الاجتماعي، وعنايتها ببناء الشخصيات وتشكيل الأحداث وتحليلها، وتعميق الصراع في نفوس الأبطال، وتوظيف المونولوج الداخلي وغيرها من المقومات السردية، كما تعددت ألوان الرواية وتنوعت اتجاهاتها مقارنة بالمرحلة الأولى.

وشهدت روايات المرحلة الثالثة وخاصة روايات التسعينات الميلادية، تطورا ملحوظا من الناحية الفنية، حيث مال عدد من الكتاب إلى آفاق التجديد والتجريب، واهتموا بتوظيف التقنيات السردية الحديثة المستخدمة على المستويين العربي والعالمي، والكثير من الأدوات الجمالية، والإفادة من تيار الوعي بصورة أكبر، واستخدام اللغة الشعرية المكثفة، ومالوا إلى كشف المستور على المستوى السياسي والثقافي والاجتماعي والتاريخي، وظهر المكان في أعمالهم بصورة أقوى من ذي قبل، وما إلى ذلك، حتى نستطيع أن نقول أن التجربة الروائية السعودية في هذه الفترة ازدهرت كمّاً

وكيفاً، وتألقت من حيث الجماليات والموضوعات والأساليب وانتقلت من المحلية إلى العالمية، واستحقت الوقوف عليها نقدا ودراسة والاعتراف بها وبقيمتها.

وفي هذه الفترة ظهر عدد كبير من الروائيين البارزين ذوي المواهب والقدرات الإبداعية الرائعة، قدموا أعمالا مميزة على الأصول الفنية الحديثة، لا تقلّ قيمة وأهمية عن الأعمال الجيدة في باقي الأقطار العربية، وتقدم صورة صادقة للمجتمع السعودي وطموحاته السياسية والاقتصادية وتحولاته الاجتماعية والثقافية، وهموم الشعب وصراعاته ومشاكله وأحلامه وأشواقه ودواخله النفسية، كما يمكن رصد وضع الأمة من خلال الشخوص الروائية والبيئة الزمانية والمكانية.

ونظرا للتطور والازدهار الملموس الذي أحرزته الرواية السعودية مؤخرا، تناولها كتاب ونقاد ذوي مواهب وقدرات فنية لدراسات ومقاربات نقدية وموضوعية عديدة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين، ومن الملاحظ أن معظم هذه الدراسات قد اهتمت بالجوانب الفنية والملامح الجمالية والأسلوبية للرواية السعودية في مختلف مراحل نشوءها وتطورها أكثر من اهتمامها بالجوانب الموضوعاتية. وعلى حد علمي لم تعتن أي دراسة عناية خاصة بالجانب الاجتماعي في الرواية السعودية في القرن العشرين، بالرغم من التصاقها الوثيق بالمجتمع.

وهذه الدراسة تتميز عن سابقاتها باعتمادها للدراسة المضمونية إذ تعني بتتبع الجانب الاجتماعي وبصفة خاصة "**النزعة الاجتماعية في الرواية السعودية**" من بدايتها في عام 1930م إلى نهاية عام 2000م، وهي فترة زمنية تزيد على سبعين سنة، وأُنتج فيها ما يزيد على مئتي رواية متفاوتة في مستوياتها الفنية والجمالية والموضوعاتية. وقد حاول فيها الباحث قدرَ المستطاع التنقيب في مضامين الرواية السعودية مع رصد الملامح والنزعات الاجتماعية فيها.

وفيما يخص بنظام تبويب هذه الدراسة، فهي تتضمن مقدمة، وخمسة أبواب موزعة على فصول مناسبة، وخاتمة، وفهرس المصادر والمراجع المهمة التي استفاد منها الباحث في البحث والتقصي. فالباب الأول يرصد الخلفية الثقافية والأدبية في المملكة العربية السعودية في النصف الأول من القرن العشرين، مع تسليط الضوء على تطور فن القصة والرواية في الأدب العربي الحديث، والباب الثاني يستعرض تطور الرواية العربية السعودية في القرن العشرين من خلال إلقاء

الضوء على مراحل نشوئها ونضجها وازدهارها، والاتجاهات الفنية والمضمونية التي تطرقها الروائيون السعوديون مع تقديم نماذج عديدة من الروايات التي رصدت التحولات الاجتماعية والمعيشية في المملكة، والباب الثالث يتحدث عن النزعة الاجتماعية في الروايات التي ناقشت ظاهرة الابتعاث للدراسة في البلدان الخارجية وآثارها على المجتمع السعودي المحافظ، والباب الرابع يتناول قضايا المرأة السعودية من تعليم البنات وقضية زواج القسر والإكراه ومشكلة التفريق الجنسي في المجتمع. أما الباب الخامس فهو يخص بدراسة وتحليل وعرض القضايا الاجتماعية الهامة التي اتخذها الكتاب السعوديون موضوعا محوريا أو ثانويا لأعمالهم السردية وناقشوا جوانبها المختلفة – السلبية منها والإيجابية، من مشكلة غلاء المهور، وظاهرة العنوسة، وقضية التعدد في الزوجات، وظاهرة الطلاق، ومشكلة الفقر والبؤس، وما إلى ذلك.

وبعد دراسة الرواية السعودية والنزعة الاجتماعية فيها على مدى خمسة أبواب موزعة على فصول مناسبة، استنتج الباحث بأن التجربة الروائية في المملكة العربية السعودية خلال القرن العشرين قطعت أشواطا مهمة من ناحية الإنتاج الروائي وتطور البناء الفني وتنوع الاتجاهات والموضوعات والمشاركة الفعالة في معالجة القضايا الاجتماعية على نطاق واسع بصدق التعبير والواقعية الفنية.

كما أوصى بأن المنتج الروائي في المملكة العربية السعودية، بالرغم من الدراسات النقدية والموضوعية التي حظيها في الآونة الأخيرة، ما زال بحاجة إلى دراسات وبحوث من الناحية الفنية والموضوعاتية، وتصلح موضوعات "صورة القرية السعودية بكافة نواحيها، وصورة المدينة السعودية بإيجابياتها وسلبياتها، والبيئة الثقافية المحلية بموروثاتها الشعبية، والنزعة الإصلاحية والإسلامية، والنزعة العاطفية في الرواية السعودية" لدراسات أكاديمية بصفة خاصة، كما ينبغي أن نهتم بدراسات مستقلة في منتجات أعلام الفن الروائي السعودي أمثال إبراهيم الناصر الحميدان وعبد العزيز مشري وتركي الحمد وغازي القصيبي وعبده خال وأمل محمد شطا ورجاء عالم وليلى الجهني وغيرهم، إلى جانب دراسات مقارنة بين الروايات السعودية والروايات في باقي الأقطار العربية والروايات العالمية.

الباحث: **حفظ الرحمن**